هذا البحث كان مشاركاً في مؤتمر

المجلس العالمي لرعاية اللغة العربية وتنميها

بيروت

الدورة الثانية :١٢-١٤/ صفر - ١٤٢٤ هـ ، ١٥ - ١٦ - ٢٠٠٣ م

لو مات العرب والمسلمون جميعاً أو ارتدّوا (لا قدّر الله)

هل الإنسانية تحتاج إلى اللغة العربية ؟

الدكتور ابراهيم بن محمد العنزاوي

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا البحث كان مشاركاً في مؤتمر:
المجلس العالمي لرعاية اللغة العربية وتنميتها
بيروت
الدورة الثانية: ١٣ – ١٤ م صفر ـ ١٤٢٤ هـ (١٥ – ١٦ – ٢٠٠٣ م)
اللغة العربية أمام تحديات العولمة

لو مات العرب والمسلمون جميعاً أو ارتدّوا (لا قدّر الله)

هل للإنسانية تحتاج إلى اللغة العربية؟

الدكتور ابراهيم بن محمد العنزاوي

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا البحث كان مشاركاً في مؤتمر:
المجلس العالمي لرعاية اللغة العربية وتنميتها
بيروت
الدورة الثانية: ١٣ ـ ١٤ م صفر ـ ١٤٢٤ هـ (١٥ ـ ١٦ ـ ٢٠٠٣ م)
اللغة العربية أمام تحديات العولمة

لو مات العرب والمسلمون جميعاً أو ارتدوا (لا قدر الله)

هل الإنسانية تحتاج إلى اللغة العربية؟

الدكتور ابراهيم بن محمد العنزاوي

وزارة الإعلام رقم : ٧٨٧٢١
الطبعة الأولى ربيع الأول ١٤٢٦هـ

طُبع على نفقة أهل الخير
يوزّع مجاناً

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم..... أما بعد:

*** أهم نقاط البحث :

١ـ تمهيد

٢ـ تدور نقاط البحث حول مسألتين أساسيتين يتفرع منهما نقاط عدة وهاتين المسألتين هما :

أ ـ الواقع المفروض والمحروس حول اللغة العربية:

١ـ الحذر مطلوب

٢ـ المشكلة في نفسيتنا وليست في لغتنا.

٣ـ تدمير اللغة من خلال منظومة الثوابت.

٤ـ لقد انهزمنا في معارك كثيرة ، ولم تنهزم اللغة العربية.

٥ـ محاصرة اللغة العربية من الداخل والخارج.

٦ـ الإعلام والعربية.

٧ـ معركة المصطلح.

ب ـ لغتنا صنعت حضارتنا، وحضارتهم صنعت لغتهم:

١ـ عولمة لغوية سادت ، ثم بادت، لماذا ؟

٢ـ تعدد الألسن والألوان ، من السنن الكونية.

٣ـ لغتنا لغة الخلود والتجديد والاستمرارية.

٤ـ إعادة تخصيب اللغة بنجاح مؤكد من خلال المساجد.

٥ـ اللغة العربية دين ودنيا.

٦ـ مصلحة الإنسانية في اللغة العربية.

٧ـ ١٥٤ آية تحققت، وتتحقق، وستتحقق.

الحذر مطلوب للغة العربية، ولكن بقدر:

(يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم)[1] . واللغة كائن حي ، يتأثر ، ويؤثر فيما حوله من اللغات، فاللغة تستمد قوتها وضعفها من الناطقين بها، فقوة الناطقين وضعفهم أيضاً، تنعكس على اللغة التي يستخدمونها .

فاللغة العربية لها خصوصية ليس كمثلها خصوصية، تستمد قوتها من أهل الملأ الأعلى، والملأ الأدنى، تستمد قوتها من الله الذي أختارها، أوعية لكلامه.

ولما كان الله ليس كمثله شيء، فإن كتابه ليس كمثله كتاب، ونبيه ليس كمثله نبي ولغة قرآنه ليس كمثلها لغة.

وهذه شهادة علمية حيادية لخصوصية واحدة من خصوصيات اللغة العربية، بأن اليابان أجرت تجارب على معظم لغات العالم، فكانت اللغة العربية هي الأولى في الوضوح الصوتي ، وجاءت اللغة الصينية الأخيرة في القائمة من بين اللغات التي أجريت عليها التجارب[2] وفي هذا إعجاز ، وملحظ، يشهدان بأن (الله أعلم حيث يجعل رسالته)[3] ولا يوجد في الأرض لغة متماسكة ومحتفظة بالمنظومة الصوتية والنحوية والاشتقاقية واللغوية غير العربية على مدى ستة عشر قرناً، وهي لغة المعبد، والمخبر، والسياسة، والتجارة، و..

ويأتي الحذر من قضية اندثار اللغات ليست جديدة على هذا الكوكب، وهناك لغات سادت ثم بادت، وقامت بها حضارات لم يقم مثلها حتى الآن، كلغة سيدنا سليمان عليه السلام وحضارته التي تعدت المنظور إلى غير المنظور، كالجن.

وهناك لغات أخرى اندثرت فأين اللغة السنسكريتية في وسط آسيا ؟ والفرعونية في مصر ؟ والبابلية والآشورية والسومرية في بلاد ما بين الرافدين.. ؟ وأين اللغة الآرامية في شرق البحر المتوسط ؟

وأين اللاتينية لغة العلم والدين في أوربة .. ؟

ويعود السبب - برأيي - لأمرين :

١- إما أهلها لم يكونوا حذرين ويحتاطوا لها، ولم يدعموا استمراريتها..

---

[1] سورة النساء الآية : ٧١

[2] اللغة العربية في عصر العولمة لـ د / أحمد الخطيب، مكتبة العكيبان، الرياض، ط : ١ (١٤٢٢ هـ ٢٠٠١ م)

[3] سورة الأنعام الآية : ١٢٤

٢ـ أو هي ضعيفة التكوين، ولا تملك القدرة على الخلود والاستمرارية فتجاوزتها مستجدات الحياة.

وبعد ثورة الاتصالات المعاصرة تحولت الأرض إلى قرية كونية صغيرة، وصارت اللغات تتزاحم على البقاء في كثير من المواقع، فلابد من التصادم بين اللغات القوية والضعيفة، فتموت من تموت وتبقى من تبقى، ويتوقع المنظورون مستقبلاً سيئاً للغات الضعيفة باستنادهم على الدراسات التاريخية الحديثة:

(وتشير الدراسات الحديثة إلى أن بداية القرن العشرين كان هناك أكثر من (١٥٠٠٠) خمس عشر ألف لغة من اللغات الحية وتقلصت بالتدريج حتى وصلت إلى (٥٠٠) خمسمائة لغة، ويقال إن منها (٣٠٠) ثلاثمائة لغة في قائمة الخطر ومن المتوقع أن تستخدم البشرية في القرن الحادي والعشرين (١٢) اثنتي عشرة لغة، ويرى بعضهم أن اللغات ذات الانتشار سوف تكون في حدود ست لغات)[٤].

والآن يتساءل الغيورون من أئمتنا وكبرائنا عن مصير اللغة العربية في المرحلة القادمة من بين هذه اللغات ؟ وما هو موقف أبناء الضاد ؟ هل هم غيورون ؟ أو متفرجون ؟ أو عقوقيون يرحبون بكل غاز ؟

ومشكلة المشاكل في دواخلنا، الهزيمة النفسية قبل الهزيمة اللغوية، ولا يخفى على عاقل مدى الفرق بين أن يحتل العدو أرضك، أو يحتل لسانك، أو يحتل صدرك

ونقطة أخرى علينا أن نفرق بين هزيمة اللغة لأنها ضعيفة، وبين هزيمة أهل اللغة لأنهم ضعاف

فالحالة الأولى: تنهزم وحدها، والبديل اللغوي رشح نفسه تلقائياً.

والأخرى: هزيمة أهل اللغة، معناها انهزم الأحياء والأموات، وبمعنى آخر، انهزم الماضي والحاضر والمستقبل.

المشكلة في نفسيتنا وليس في لغتنا

لقد مرت على الأمم جميعاً هزائم شتى وفي مجالات شتى وبعد مدة قد يتحول المغلوب إلى غالب وقد يستمر المغلوب مغلوباً إلى يوم القيامة (كالهنود الحمر) في أمريكا .

ولقد انهزمت الأمة العربية والإسلامية عسكرياً فقط، أمام التتر والمغول، والصليبيين، وقد دامت الصليبية حوالي قرنين من الزمن ولها التفوق العسكري، ولم تتأثر اللغة بشيء ذي بال لأن النفسية كانت سليمة وتنظر إلى

---

[4] اللغة العربية في عصر العولمة لـ د/ أحمد ضبيب سبق تعريفه

(الإفرنجة) بأنهم كفرة وهمج، بينما الآن اختلف الأمر عن قبل وصار الإفرنجة كأنهم الأسوة والقوة عند بعضنا، وجرى تعظيمهم وعشقهم في بعضنا مجرى الدم، لذلك كثر مقلدوهم في المأكل والمشرب والملبس والأفراح والأحزان حتى في الحديث العائلي والمجاملات الشخصية والتحايا، حتى في المجالس الخاصة تدور المفردات الإنكليزية على ألسنة المتفرنجين لغير حاجة، ولكن لإظهار جانب الهزيمة النفسية.

وهذه الحالة ما جاءت من فراغ بل هناك شيء ما، قدمه الغرب للناس من خلال الثورة الصناعية، والتقنية والالكترونية فدخلت صناعتهم في أجسامنا وفي حشوة أسناننا وخياطة جروحنا والساعة التي في معصمنا، و.. و ..

ومن هذا الموقع القوي الصناعي والتقني والالكتروني كلموا الناس بأنهم الأقوى والأفضل في كل شيء

فهم الأفضل في رؤسهم والأرذل في نفوسهم

فهم الأفضل في التقنية والإدارة، والأرذل في القيم و الأخلاق، وصدّقهم السذج منا بأنهم الأفضل في كل شيء، وأصبحوا من هذا الموقع القوي يكلمون الناس، ويفرضون قيمهم وأخلاقياتهم، وكل أخلاق تخالف أخلاقهم ، فهي متخلفة، وكل دين يخالف دينهم، فهو إرهابي ، وكل لغة تخالف لغتهم فهي مبعدة في المحافل الدولية، وأصبح الكون كله لا يتسع إلا لهم، ولمن ينصبغ بصبغتهم.

وإلى جانب كل ما ذكرنا يملكون قدرات تسويقية في عرض بضاعتهم من (مكدنة) و (هرقلة) و (أمركة) و (..) وفرضها على العالم ليس لأنهم أقوياء أكثر من اللازم بل لأن الآخرين هم ضعاف أكثر من اللازم.

ولا تلام القوى العظمى في كل ما تفعله بما يخدم مصالحها بأخلاق أو بدون أخلاق، ولكن يلام الذي يعطيها الفرصة.

واتخذوا لأهدافهم خططاً رهيبة فيها الداء الدوي، وطبخت على نار هادئة، حتى لا ينتبه الناس فتفشل الخطة، مثلهم مثل الذي وضع ضفدعتين في إنائين ووضعهما على نار مختلفة، إحداهما على شمعة ، والأخرى على نار شديدة، فأما التي على الشديدة قفزت الضفدعة من الإناء فوراً وأما التي هي فوق الشمعة استسلمت حتى تفتفت نهائياً. وهكذا يصنعون في تدمير ثوابتنا من خلال النفس الطويل.

تدمير اللغة من خلال تدمير الثوابت : كالدين، والقيم ، والوحدة، والتراث..

اللغة العربية من الدين، والدين في لغتنا..

لا توجد لغة تقف وحدها في الهواء الطلق، كما لا توجد نفس حية بدون هيكل جسمي، فتقطيع أعضاء الجسم، أو إرهاقه، أو أي صورة من صور الإتلاف، معكوس على النفس ذاتها ، فهذه اللغة لها منظومة حياة ولها أركان تعتمد عليها فهدم أي واحد من هذه الأركان هدم لهذه اللغة، ومن أركان هذه المنظومة:

١- الدين:

إحياء الخلافات القديمة بين المسلمين وشراء بعض الضمائر لتنفيذ هذا الغرض أو ذاك وتضخيم النقاط السوداء في تاريخ الخلافيات في الإسلام وتغذية النعرات المذهبية من خلال وجهاء محليين وصحافة وإعلام وسينما وتبني المنشقين الجدد وقدموا لهذه الأمة بدائل عن الدين كالعلمانية والحداثية و ... و... و ... تطرح موديلات جديدة، فمن لا يعجبه هذا أو ذاك، يغير حسب الذوق.

والسبيل لتحقيق ذلك أحدثوا الاستشراق ومهمته التشكيك في كل الثوابت وتعميم هذا الإنتاج المر فكثير من الناس من بني جلدتنا لا يملك خلفية علمية قوية فيقع فريسة سهلة ومنهم لا دين ولا علم ؟؟ المهم أنه يجد مصدراً تموينياً ، ومنهم لا هذا ولا ذاك، ولكنه ذيلي بالفطرة.

هنا تصادمت الأجيال، والأفكار، والقديم والجديد ، فلابد من توحيد الصف والخيار المفروض والمطروح إلغاء الدين، وفي مرحلة بعدها إلغاء اللغة ، والتحول إلى لغة الفن ونحن في الفن والرياضة شركاء، ولكن في التقنية للأقوياء

٢- القيم والأخلاق :

القيم للحضارات كالجيوش للأمم تحفظها وتحميها، ومثال بسيط :

لو أن رجلاً ترك لأولاده ثروة هائلة، ولم تكن عندهم قيم تحرس هذه المالية، بعد مدة تطير في بالوعات المواخير.

وللقيم مرتكزات عديدة، منها :

المرأة:

فعدونا اخترقنا من جهة المرأة ، ولقد أثاروا مشكلة المرأة، والمرأة المسلمة بالذات، والتركيز على نقاط محددة، كالحجاب، والتعدد، والطلاق، والعمل، وكأن المرأة في الغرب في غاية السعادة، والمسلمة هي المظلومة، والواقع أن المرأة المسلمة إن أصابها ضيم ، فيكون من الموروثات الاجتماعية التي

حولها الناس إلى دين ولجهل الناس بالدين فيظنون كل موروثات الآباء هي من الدين، فظلمت من الصديق لجهله ومن العدو لحقده، وأبسط رد على افتراءات الغرب، هو كثرة النساء الغربيات اللواتي يدخلن الإسلام يومياً ، وهنّ في ريعان الشباب وفي قمة الجمال والعلم . فكيف يتركن جنة الغرب ، ويتحولن إلى الجحيم المزعوم.. ؟ وتفننوا في تغذية هذا التوجه ، وتحت شعار الفن للفن قامت المسارح، ودور السينما، والمعارض والمجلات الفنية وغيرها، وكلها لها جانب فني يخدم المجتمع، وجانب آخر تدميري على المدى البعيد كتأصيل العري ، وتدميره أكثر من خدمته.

ومن بركات هذه الخدمة الابتعاد عن الزواج للشباب، وتدمير الحياة الأسرية القائمة، وصار معدل الطلاق مرتفعاً يوماً بعد يوم ، لأنه ليس كل ما يصلح للغرب يصلح لنا. ومن قلة الوعي، منا من توغل في السلبيايات المستوردة حتى تجاوز أهلها .

ولقد تقدموا في هذا الاتجاه وحققوا كثيراً من مخططاتهم ، ولكن بعث الله أمراً ما كان في حسبانهم، وهي الصحوة الإسلامية، ولما جاءت الصحوة الإسلامية أخيراً ، أفشلت معظم المخططات والمؤتمرات العالمية ومنها مؤتمر (١٩٩٥) وكان عنوانه : (فلسفة الجسد) في بكين، ومما فيه :

يحق للرجل أن يتزوج الرجل، وللأنثى أن تتزوج الأنثى، ومن حق الوالد أن يعترف بابنه أو لا يعترف، والأم لها أن تعترف بابنها أو لا تعترف، وللابن حق أن يعترف بأبويه أو لا يعترف أو بأحدهما دون الآخر.. يسوقون البشرية إلى عالم القطيع.

يبقى السؤال : أيُّ الأسر هي المرادة ؟؟

مادام هذا الأمر مقنناً في معظم بلادهم، إذاً هم يريدون الأسرة المسلمة، لأنها صامدة منذ أربعة عشر قرناً، ولم تذب في أحماض العولمة، بل وبالعكس بدأت تصبح مثلاً أعلى للغرب نفسه، من خلال صيحات العقلاء والنبلاء ، منهم ولي العهد البريطاني، ومن خلال الداخلين في الإسلام وهم من علية القوم علماً وعقلاً ومالاً من أبناء الغرب ، يريدون العودة للفضيلة.

ويبقى السؤال: ما علاقة المرأة باللغة، وأهمية ذلك ؟

الأم والأخت والخالة والعمة والجدة في المجتمع المسلم هنّ المصدر الأول للغة بالنسبة لعالم الطفولة وعلى مدى ست سنوات تقريباً، فالمرأة المسلمة من خلال التلاوة والتعاويذ والاستغفار والدندنة..

تعطي لطفلها أكبر قدر من ثوابت اللغة، وتأتي مسميات موجودات البيت والمطبخ والأجهزة المنزلية، وأسماء الملبوسات..

كل هذه من مكونات اللغة، فالمرأة المتفرنجة تذكر هذه المسميات بالأجنبية، حتى تسكب في صغيرها لغة ثانية وتنقطع صلته بماضيه، فيميل إلى أي لغة تحقق مصلحته.

الوحدة هي القاعدة لأربعة عشر قرناً ، والتجزئة مرض طارئ:

واللغة العربية من أكبر عوامل الوحدة لربع سكان الأرض، لأنهم يؤذنون بها، ويقيمون الصلاة، ويتلون القرآن، و.. ومن ميز الإسلام أنه يجمع بين المتباعدات، ويؤلف بينها، ويولد منها طاقة هائلة كما ألف بين الليل والنهار، والحر والبرد، والجفاف والمطر، والسماء والأرض ، فقامت الحياة.

كذلك ألف بين الحر العبد، والأسود والأبيض، والعربي والأعجمي، وعدو الأمس وصديق اليوم، والمحارب له، والمحارب معه،(إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم) فقام الإسلام على صلة رحم إيماني يجمع الكل ، ويصهر الكل، ويلائم بينهم، فيخرجهم وكأنهم خلقٌ آخر، وهم اليوم ربع سكان المعمورة، وتفلتت منهم أمور شرعية قليلة، وبقيت أخرى وهي المهمة، وما زالوا يقومون ويقعدون في وقت واحد، ويفطرون ويصومون، ويحجون في زمن واحد، و.. و.. .

فجاء العدو ينقض هذه العرى عروة عروة، وكثير من المسلمين لا يعرف إلا (سايكس - بيكو) واحدة للجغرافيا، وفي الواقع نفذ العدو ألف (سايكس بيكو) واحدة للقلوب، وأخرى للآراء، وثالثة للطائفيات، ورابعة للمذهبيات، وخامسة للهجات ، و... و ... حتى صار لكل عائلة (سايكس بيكو) ولكل زوجين (سايكس بيكو ..) وهناك مخططات ضد اللغة العربية، منها نفذ، ومنها ينتظر عميلاً يسوقها ويروجها .. ؟

وخصومنا عندهم مفكرون يعملون مقاولات يبيعونهم المعلومات التخريبية بعد تصنيعها في مصانع الاستشراق، فينتفع الطرفان، أي المنظرون للأذى والغزاة لجمع المال،وعندنا ذيليون،يشتغلون مجانا.

وفي مجال اللغة: من يصدق أن لغة انهزم حراسها، وبقيت وحدها، وتتقدم لغة انهزم أهلها في مواطن عديدة، وهي تتقدم منتصرة!!

تنهزم الأمم عسكرياً فتحسب الهزيمة على العسكريين ، وتهزم سياسياً فتحسب على السياسيين، وهكذا..

ولكن ماسجل التاريخ هزيمة للغة العربية، ولا للدعوة الإسلامية، والدليل على ذلك: دخل التتري بغداد كافراً، وخرج مؤمناً ويتكلم العربية في صلواته، وفي العصر الحاضر هزائم شتى للعرب وللمسلمين، وفي مجالا

متنوعة، والدعوة تنتشر في الدول العظمى التي تعادي الإسلامي وتحاربه واللغة العربية يتعلمها علية القوم منهم، وهذا دليل واحد على تشوق الناس لتعلم لغة القرآن، لأن القاعدة الشائعة لدى المسلمين الجدد لا يمكن أن يفهم القرآن بشكل جيد إلا إذا قرأوه باللغة التي أنزل بها. لأن الترجمات تنقل المعنى التقريبي، ولكنها لا تنقل المناخ والأجواء والجماليات اللغوية، وتمتاز العربية بالجمال والمجاز.

وأذكر قصة طريفة كنت مع الشيخ أحمد ديدات ـ حفظه الله ـ في مدينة جدة، بعد صلاة الفجر، بوعد مسبق، لضيق الوقت عنده، وجاءه طبيب أمريكي يعمل بالطائف وقد أسلم جديداً، وقال له الشيخ : ما هي المشكلة التي تواجهك ؟ ردّ بحماس شديد، تعلم العربية. وتابع الطبيب مندفعاً، يقول: مستعد أن أدفع مليون دولار لمن يعلمني العربية، فقال له الشيخ، هل أنت متزوج؟ قال : لا ، قال له : تزوج امرأة عربية، وأقنعه بالفكرة.

وداعبت الشيخ يومها،لأنه لايعرف العربية، لماذا أنت لاتتزوج عربية؟

قال متضاحكاً : تخنقني العجوز وهو يهرش في صلعته، يومها عنده من العمر ست وسبعون سنة.

والعبرة من القصة بأن اللغة العربية متقدمة بانتصار، وتحقق أهدافها، ونقطة الضعف عند المتشائمين حول مستقبل العربية لأنهم يربطونها في الأحوال السائدة، وكأن الحروف العربية تستمد قوتها من الحروب العربية.

واستثمر الغرب ظروفه ، وروّج للغته، وأوهم الناس بأن هذه العلوم الصناعية والتقنية والالكترونية ما كان لها أن تتقدم لولا لغته : كاللغة الإنكليزية والفرنسية، و.. ، وكان من أكثر المخدوعين بها بعض أبناء جلدتنا، ولو كان هذا الأمر فيه قدر من الصحة لسبقتنا إليه حضارة قائمة من صناعات وتقنيات والكترونيات ، وهم في مصافي الأمم وهذه إسرائيل تحيي لغة ميتة وليس لها أي دور في صناعة التاريخ والتجربة السورية في تدريس العلوم الطبية، والتقنية والهندسية.. باللغة العربية سجلت نجاحات بشهادات الآخرين.

مما لا شك فيه أن اللغة الإنكليزية لها دور في عالم السياحة، والاتصالات، وجوازت السفر، والدبلوماسية.. ولكن بعد نزول الترجمة الفورية إلى عالم الالكترونيات سيقلل من أهمية أي لغة تريد الاستحواذ على كل الساحة.

وخلاصة القول:

لا يتم إصلاح الخلل التربوي والتعليمي والبعد به عن المخاطر التي تهدد اللغة العربية إلا بإعادة تهيئة المناخ الذي نبتت به اللغة العربية:

إعادة تخصيب القيم التي تممت بها مكارم الأخلاق، وبتوطين العلم والتقنية، وتكون الأبحاث كلها بالعربية والترجمة لكل جديد للعربية، وليسعنا ما وسع اليابان الذين يحترمون لغتهم، فصار الناشرون في العالم الغربي يترجمون كل جديد إلى اليابانية ويطرحونه في سوقها، والأفراد والحكومة كل ينتقي ما يشتهى، ويدع ما لا يشتهي.

الحصار اللغوي:

اتخذ العدو تجاه اللغة العربية عدة خطط منها : داخلية ، ومنها خارجية.

أ ـ من الخطط الداخلية:

لقد شددوا الحصار على اللغة العربية من خلال تشظيتها، وتفتيتها، وتحويل الناس من الفصحى إلى اللهجات المحلية، وإحياء اللهجات الميتة وجعل هذه اللغات المصنعة هي السيدة، وهي لغة الكتابة الرسمية، والتعليم، والخطاب.

ولأن اللغة هي النسيج الذي يجعل الوحدة اللغوية شبكة حياة وعلم، فتفتيت اللغة إلى اللهجات معناها تفتيت الناس مع الأيام.

ومما يصنعونه في داخل العربي، هو إفساد الذوق الأدبي، والموروث الأدبي، ويأتي كتّاب وأدباء من بني جلدتنا، منهم على علم بخطورة العمل الذي يقوم به، ومنهم إمعة يريد الشهرة السريعة، وهؤلاء لمعتهم الوصاية والدعاية، فيسلون سيوفهم على موروثات الأمة من كل شيء وينادون بالتجديد ، ويضعون كل العيوب والمصائب وفشل الحاضر والماضي من هذه الموروثات.

ولو سألناهم ماذا قدمتم خلال قرن مضى وكل شيء بين يديكم ؟

لاشيء سوى مفردة (التجديد) تعاد وتكرر.

ومعظم مطبوعاتهم مدعومة وقد تطبع مجاناً وتوزع مجاناً وبأفخر الطباعات والألوان والرسومات، ولهم صفحات شبه محجوزة في الصحف والدوريات ، لكنها لا تجد القارئ الجاد في معظم الأحيان ؟ والراسخون في العلم الذين يسمونهم بالظلاميين لا يجدون مالاً حتى يطبعوا إنتاجهم.

والقول الفصل لانتاجهم القارئ الحر، ومقياس الشهرة (معارض الكتب) فالتنويريون ـ كما يزكون أنفسهم ـ أقل الناس مبيعات. فإذا لم ينجحوا فيما مضى، لن ينجحوا فيما بقي بعد قيام الصحوة، لأن دور النشر تزيد ولا تنقص، تربح ولا تخسر وكلها من كتب التراث والتراثيين أو من إنتاج الظلاميين كما يحلو للتنويريين بأن يصفوهم بذلك.

والخطورة التي تأتي من قبلهم إن لم تكن لهم إلا ميزة التزهيد في هذه اللغة والتشويش عليها، فهذا كاف مع الزمن لكي يترك أثره السلبي في الأجيال الناشئة، في إفساد الذوق الأدبي..

ب ـ من الخطط الخارجية :

تشظية العربية من خلال الدعم الرسمي العالمي ففي العالم الخارجي، نرى الخبث والكيد والعداء من خلال تعامل هؤلاء مع اللغة العربية؟ وكيف يتم إبعادها عن المحافل العالمية حتى لا تصبح من اللغات الرسمية العالمية ؟

ولقد صدر بيان (قرطاج ١٩٠٧ م) الذي أعلنوا فيه : تاريخ وفاة اللغة العربية في المغرب العربي الذي لا يصلح له إلا اللغة الفرنسية، ولا مستقبل له إلا من خلالها[٥] ، وهذا مثال (وأفصح مثال واضح هو أسلوب التعامل المزدوج الذي يتخذه الفرنسيون في الوقت الواحد والظرف الواحد : سلباً وتقويضاً حيال اللغة العربية، ودعماً وتزكية إلى اللغة البربرية ولا سيّما في البلاد الجزائرية)[٦].

ومما لا يدع مجالاً للشك للنوايا السيئة، مما صدر في فرنسا للطلاب الذين يرغبون في دراسة اللغة العربية ممن يتجاوز المرحلة الثانوية العامة عليه أن يجتاز اختباراً بالفصحى وباللغة العامية، من بين ثلاث مجموعات إقليمية : (المجموعة الشامية ، المجموعة المصرية، المجموعة المغربية)[٧] .

ويتابع الراصد معنا سلسلة المكر وما تخفي الصدور أعظم (فاختبارات اللغة العربية بالفصحى تكون شفوية، والاختبارات باللهجات تكون كتابية)[٨] .

وهذا الإجراء ليس إجراءاً عابراً أو محلياً أو شخصياً ، بل دائماً هو إستراتيجية كبرى، دائماً هي رؤية قوم ائتمروا بليل، والذي يفرز هذه الرؤية ما أعلنته إذاعة (صوت أمريكا) القسم العربي :(عن عزمها بالبدء في البث على مدار أربع وعشرين ساعة على مستوى الوطن العربي وسيكون

---

[5] مراجعات في الفكر، والدعوة، والحركة، لـ / عمر عبيد حسنة ط: ٢ (١٤١٢ هـ ١٩٩٤ م) ص : ٢٠٨ المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ص : ٢٨ بتصرف.

[6] العولمة وقضية الهوية الثقافية في ظل الثقافة العربية المعاصرة لـ د / محمد التميمي ط : ١ (١٤٢٢ هـ ـ ٢٠٠١ م) وهو بدوره نقل هذه المعلومات من كتاب (العولمة والعولمة المضادة) لـ / المسدي ص ٣٩٣

[7] العولمة وقضية الهوية الثقافية في ظل الثقافة العربة المعاصرة لـ د / محمد التميمي ط :١ (١٤٢٢ هـ ـ ٢٠٠١ م)

[8] العولمة وقضية الهوية الثقافية في ظل الثقافة العربة المعاصرة لـ د / محمد التميمي ط :١ (١٤٢٢ هـ ـ ٢٠٠١ م)

بث الإذاعة المذكورة، لكل دولة عربية بلهجتها الخاصة)[9].ولم يكتف العدو بهذا وذاك وهو يحاصر اللغة العربية بل حذف الحرف العربي من بعض الشعوب الإسلامية، وقدم الحرف اللاتيني بديلاً عنه كتركيا.

- وإن عجز عن ذلك أحيا الحرف المحلي لتلك البلاد من أجل أن يغيب الحرف العربي حتى يقطع هؤلاء الناس من الأعاجم عن أمة الإسلام، ولغة القرآن الكريم، كما فعلوا مع أبناء البخاري وسيبويه.

الأجهزة الإعلامية واللغة العربية:

هناك مآخذ على الصناعة الإعلامية في العالم العربي من ضعف في الطرح، والتناول ، والآلية، ومع كل هذا، لقد ترك الإعلام أثراً إيجابياً على المستوى القطري والأممي، فصار الجيل العربي الجديد من المغرب إلى الفرات ودجلة يتخاطبون مباشرة، بينما كان الرجل المسن من المغرب، أو نجد، أو الفرات، ربما لا تفهم عليه إلا إذا كانت هناك دربة وعشرة طويلة.

- وحظ مساحة اللغة العربية في هذه الصناعة الإعلامية المتاحة للغة العربية، كالخطابة، والشعر، والقصة، والرواية، والمسابقات المباشرة لهذه الفنون الأدبية مساحتها ضيقة إذا قيست بالبرامج الترفيهية كالمسابقات الرياضية والفنونية، وهذه مسألة تحتاج إلى قرار سياسي. أو شراء مساحات إعلانية من القنوات الفضائية من قبل أهل الخير، وبث برامج لغة عربية جادة، لا تخلوا من مساجلات شعرية، ومسابقات نحوية، وقصصية و... وتكون هناك مكافئات مالية.

ومن عوامل التجزئة العربية تكرار عناوين كالأدب السعودي أو الأدب السوري ،... الأدب العربي واحد

معركة المصطلح :

تدور في محورين :

فأما الأول: انقضاض العدو على الثوابت بالتغيير والتزوير، كما سنوضحه بعد قليل.

والآخر: أسماء منتجات التقنية التي تدخل بيوتنا، والنظريات العلمية والتربوية تتغلغل في مناهجنا.

والمصطلحات في كل لغة هي بمثابة مسامير لتثبيت اللغة وأهلها في عملية للشد والربط ومن أخطر الأمور،هي، تزوير المصطلحات :

---

[9] العولمة وقضية الهوية الثقافية في ظل الثقافة العربة المعاصرة لـ د / محمد التميمي ط :١ (١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م)

كالربا صار فائدة، والمجون فناً، والزندقة تنويراً، والجهاد إرهاباً، والالتزام تعصباً، والوطن العربي شرقاً أوسطياً، والحبشة أثيوبيا، وطرابلس الغرب ليبيا، وشنقيط ، وموريتانيا، .. و .. و.. ونبش، ونقش أسماء الفراعنة، والفينيقيين، ومدن ظلمت ، فدمرت ، فأحيوها، وصارت تكتب على بعض المنتجات والشركات وعلى الشوارع والمصانع و.. والسؤال : لمصلحة من كل هذا ؟

المهم طوي الفترة الإسلامية من الذاكرة والتاريخ والأرض، وربط الواقع الحالي بمرحلة ما قبل الإسلام.

وقاصمة الظهر عندما يستبدل عمود الإيمان، لفظ الجلالة (الله) بمصطلح بديل، هو الضمير الحي، ورأينا ثمار الضمائر الحية في كل المواقع التي يوجدون بها و.. وقديماً قالوا: العملة الرديئة تطرد الجيدة.

وخلاصة القول: تراجع المصطلح الأصلي في موطنه، وحل المصطلح الغازي في التربية والتعليم والإعلام والرياضة والفن، و.. ، وبعد قرن أو قرنين من هذا الغزو المبرمج، ما الذي سيبقى ؟

والسؤال الأخير: إلى متى سيتسمر هذا الهجوم غير المتكافئ من الحضارة الغربية ؟

الجواب : من المحال دوام الحال.

وقد يستطيع عدوك أن يبقى قوياً لكنه لا يستطيع أن يبقيك ضعيفاً والحضارة الغربية غير متكافئة من الداخل لذلك لابد أن تنهار، حضارة شعارها العملي والتطبيقي:

تعيش المادة ويموت الإنسان، حضارة لا تنظر إلا في وجه الأرض وباطن الأرض، ولا ترفع رأسها إلى السماء لكي تستلهم منها الإلهام والوحي وعندها يبدأ التوازن.

وسأقف عند نقطتين :

الأولى: من شهادة بعض علماء الغرب المعاصرين على بداية الزلزلة والتصدع لأنها لا تحمل مقومات الحضارة التي تنشد الديمومة.

والأخرى: إن وسائل المكر والخديعة التي عاملنا بها العدو وسيلة من وسائل تنبيه الأمة ويقظتها، وسنفصل القول في النقطتين بعد قليل.

المؤسسات التربوية واللغة العربية:

لا أقول سراً، عن ضعف المستوى التعليمي للغة العربية، ومعظم الآباء عندهم مرارة الشكوى من ضعف أبنائهم، لأن الطالب يتجاوز السنة الرابعة والخامسة الدراسية وهو ما زال ضعيفاً في القراءة والكتابة.

ولا أقول سراً لو قلت : إن بعض الأمهات في المنزل قد تكتشف أخطاء إملائية ونحوية أملاها المدرس على الطلاب ووجه الخطورة في ذلك أن المجتمع يكون تجاوز المؤسسة التعليمية ودورها الريادة ، والناس تبعاً لها.

لغتنا صنعت حضارتنا، وحضارتهم صنعت لغتهم ؟؟

- هذه الحضارة الغربية الظالمة الغاشمة التي جارت على الإنسان كل الإنسان حتى على أبناء الغرب أنفسهم، ولغتها، لغة القراصنة البحريين جارت على أول لغة في الأرض، ولا يوجد في الأرض لغة ثانية أو ثالثة، .. وربما يبدأ العد بعد التاسعة، وكان نصيب اللغة العربية لا يقل جوراً وظلماً مما وقع على العربي نفسه، ووقع على المسلمين جميعاً.

لأن الله أختار اللغة العربية في يوم ما كانت فيه الأمة العربية مشهورة ولا معروفة والعربية هي تسببت في صناعة حضارة دامت سبعة قرون، ويوم وقع الاختيار عليها من بين لغات الأرض، يوم التنزيل القرآني كانت هناك حضارات فارسية ورومانية ولها لغات حضارية، ولكن هذه الحضارات هي التي صنعت لغاتها وخصبتها، بينما اللغة العربية هي التي صنعت هذه الحضارة، وكم هو الفرق بين الصانع والمصنوع؟

- ونهاية هذه اللغات مرتهن بقوة شعوبها، وعندما تتراجع ـ وهذه سنة كونية ـ أي مجرد أن تسقط المطرقة الغربية المرفوعة فوق الرؤوس على الأرض سقطت لغتها معها ، لأنها جزء من متممات هذه الحضارة الساقطة. ويتنبأ خبراء الغرب بزوالها قريباً، وهذه بعض شهاداتهم.

(وشهد شاهد من أهلها).

- وبدأ العقل الغربي يعترف بصناعته للآدمية الغربية، فهو خير وسيلة لوصف النهاية الحتمية لهذه الحضارة، إنه من الأهمية بمكان أن نجد لهذه القضية شهوداً من الغرب ذاته ، وهذه جملة من المؤلفات بين أيدي الناس لجهابذة من علماء القوم أنفسهم، وكلهم مجمعون على سقوطها الحتمي مثل كتاب (الغثيان) لجان بول سارتر و (العقل في منتهى حدود الاحتمال) لولز و (حفار القبور) لروجيه جارودي و (تدهور الغرب) لشنيغلر وسقوط الحضارة) و (اللامنتمي) لكولن ولسن و

(أزمة العالم المعاصر) لرنينه غينون.[10]

- ولابد أن نفرق بين صنفين من علماء الحضارة الغربية، صنف المنظرون الذين أوردوا أنفسهم وأهليهم والناس أجمعين المهالك، والصنف الآخر هم التجريبيون الذين خدموا الإنسانية من صناعة وتقنية وإدارة.
- ونعود للصنف الأول الذين يصدرون الإستراتيجيات التخريبية للآخرين حسب الطلب وهم (عمالقة من محترفي المضاربات الكبرى على مستوى الإستراتيجية الكونية، وهؤلاء يؤذن لنا أن ننعتهم بعمالقة الفن المنضبط ظاهره الرحمة وباطنه العذاب لا يتورع أحدهم من جر سيفه الظالم، أن يلجأ إلى كل وسائل الغش المحسوب والزيف المستتر، هؤلاء ندعهم كمضاربين لمن يضارب عليهم..)[11] . وهم الذين يزيّنون كل شيء لعمالقة الاستعمار، لقاء مبالغ معينة.

وهذه شهادة عالم هندي يصور(الغرب وهو يدور في دورانه للخروج من أزمة الحضارة المادية بعد أن بدأت كل الشعوب بدءاً من الشعب الغربي نفسه والذي بدأ يتزايد في الدخول في الإسلام ، للخروج من المادة الرهيبة، ولذلك تخوف، واتخذ ثلاثة خطط لعدم دخول الناس إلى الإسلام، كتشويش منطلقات الإسلام، أو ضرب المسلمين مباشرة، أو عرقلة سير الدعاة، وهيئات الإغاثة الإسلامية وهو يقول : (فكلما وضعوا مخططات لتقويض الحضارة الإسلامية عن طريق العلم والفلسفة، أو حاولوا تدميرها بالأساليب العسكرية، أو وضع العراقيل في طريق التعريف بالإسلام والدعوة له[12] . لم يفلحوا.

والسؤال الهام ما هو البديل بعد انهيار الحضارة الغربية ؟

- ولقد صدر كتاب بعنوان " الإسلام هو البديل " للدبلوماسي الألماني مراد هوفمان، بعد أن أسلم، والعنوان يكفي عن البيان، أي بعد إفلاس الشيوعية، وفي الطريق خراب الرأسمالية ويبقى الإسلام هو البديل، وهذا ولي العهد البريطاني الأمير تشارلز حالياً يعترف بأهمية الحضارة

---

[10] مجلة العربي الكويتية العدد / ٥٢٢ (صفر ١٤٢٢ هـ مايو ٢٠٠٢ م) مقال نورة سعادنة.

[11] نهاية عمالقة في حضارة الغرب لـ د / رشدي فكار مكتبة وهبة ط : (١٤٠٩ هـ ١٩٨٩ م).

[12] مجلة البعث الإسلامي / العدد الخامس (محرم وصفر) ١٤٢٣ هـ ندوة علماء لكناؤ / الهند.

الإسلامية وتأثيرها على العالم في شتى مجالات الحياة، واعترافات أخرى للوزير البريطاني للشؤون الخارجية (جاك سترو) ومما يقوله جاك (الإسلام يمثل قوة دافعة للمساواة بين البشر في مجالات عديدة..)[١٣] وصورة المستقبل ليست قاتمة رغم الواقع المؤلم، والدليل على ذلك، لقد مرت الأمة بأشد من ذلك.

المنبهات الحضارية حمت اللغة العربية:

- إن الخوف على اللغة العربية وحمايتها من التشظية والتفتيت والسرطانية واللحن، ولد الدراسات القرآنية، والنحوية واللغوية، والبلاغية وظهور المعاجم.
- والراصد للفتن الكبرى التي وقعت للأمة يجد أنها قد أثمرت إيجابياً نحو (فتنة الردة وادعاء النبوة كانت وراء تنبيه الأمة لجمع القرآن الكريم) وتدوين الحديث (بعد أن استحر القتل بالقراء وحماية حصن الأمة وأفكارها وقيمها، والفتنة الكبرى وما صاحبها كانت وراء التنبيه لتدوين الحديث الشريف ..).
- وهذه جولة مع رحلة الخوف على اللغة العربية وما ولد - باختصار شديد - هذا الخوف والحرص أنتجا ثمرات علمية تطويرية متتالية منها ما وضعه أبو الأسود الدؤولي من مبادئ النحو، ونقط الإعراب ، نتيجة بروز ظاهرة اللحن.
- وفي أيام الدولة العباسية ألف ابن قتيبة (ت : ٢٧٦ هـ) كتاب (أدب الكاتب) بعد ازدياد نفوذ الأعاجم في دواوين الدولة ثم جاء أبو منصور الأزهري (ت : ٣٧٠ هـ) في كتاب (تهذيب اللغة) وهو متابع لابن قتيبة في الهدف. وتابعهما الحريري في كتابه (درة الغواص في أوهام الخواص) وجاء من بعدهم ابن منظور (ت : ٧١١ هـ) . لا يخرج عن الهدف للذين سبقوه، هو الخوف والغيرة والحرص على العربية، وجاء الفيروز أبادي (ت : ٨١٦ هـ) في كتابه (القاموس المحيط) متابعاً لمسيرة الخوف والحذر وجاء بعدهم بأربعة قرون العلامة الزبيدي صاحب كتاب (تاج العروس)[١٤] متابعاً لهم وقامت مدارس النحو في (الكوفة، والبصرة، وبغداد، ومصر، والشام) خوفاً

---

[13] رحلة الخوف والحذر مقتبسة من كتاب (اللغة العربية في عصر العولمة) لـ د / الضبيب سبق تعريفه .

[14] رحلة الخوف والحذر مقتبسة من كتاب (اللغة العربية في عصر العولمة) لـ د / الضبيب سبق تعريفه .

من انتشار اللحن، وهذه معركة النقد بين الشعراء والنحاة للتصويب في مرابد الشعر، وحتى في العصر الحديث قامت مجامع اللغة العربية خوفاً على اللغة العربية، وتحت تأثير الخوف تتولد الحماية والحيطة في تحصين اللغة العربية، ولا تقاس العربية باللغة السليمانية لأنها مرحلية، والعربية وعاء للدين الخاتم.

عولمة لغوية سادت على المنظور وغير المنظور، والعاقل وغير العاقل، ثم بادت، لماذا ؟ :

العبرة من قصة سيدنا سليمان عليه السلام وعلى أنبياء الله أجمعين ، لها معطيات كثيرة منها :

اللغة السليمانية : لها مميزات عديدة ، لغة ملكية ونبوية وسياسية وأنسية، وجنية، وصناعية، وفيزيائية، ومعها لغات مساندة، كلغة الهدهد والنمل.

وهذه الحضارة استخدمت وسائل نقل لم تسبق ولم تلحق حتى الآن (ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر)[15] وأمتلكت هذه الحضارة قدرات عسكرية فيزيائية حتى الآن يحار العقل بها مجرد التفكير فقط، كيف تنقل الأجسام الكثيفة (من وإلى) بطرفة عين ، (وقال رجل عنده علم من الكتاب: أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك)[16] وبدون وسائل نقل معتادة أو مألوفة أو حتى متخيلة أو متصورة.

فأين هذه اللغة التي حملت هذه المضامين الدقيقة، للمنظور وغير المنظور، وللمعقول وغير المعقول؟

وعندما نظر سيدنا سليمان عليه السلام في مجلسه العامر بالنخب والاختصاصات المختلفة الرفيعة قال (أيكم يأتيني بعرشها)[17] وهذا الخطاب يوحي بأن الكلام للجميع، ويوحي بأن الكل عندهم إمكانات مختلفة فالذي تكلم من هذا الجمع: العفريت، ورجل عنده علم الكتاب، وبقيت إمكانات كثيرة موجودة في المجلس لم تفصح عن نفسها، وقدراتها، بعد وإن سيدنا سليمان عليه السلام الذي عولم المنظور العاقل وغير العاقل من الإنس والطير والنمل، وعولم غير المنظور من الجن، فأين لغته ؟ ولماذا لم تدم حتى هذا اليوم ؟

وكان له من الحضارة ما لم تصل إليه حضارة في القرن الحادي والعشرين عندما نقل الأشياء من اليمن إلى القدس على مبدأ نادر (قبل أن يرتد إليك

---

[15] سورة سبأ الآية ١٢

[16] سورة النمل الآية ٤٠

[17] سورة النمل الآية ٣٨

طرفك)[18] وكان يركب الريح (غدوها شهر ورواحها شهر) يطوف سيدنا سليمان عليه السلام الكرة الأرضية مرتين في اليوم صباحاً ومساءً ، لأن مسيرة الشهر على القمر هي الكون كله، والحديث الشريف يوضح ذلك : (نصرت بالرعب مسيرة شهر) فإذا الشهر سار شهراً معناها لف الكون كله ومع كل هذه القوة والعظمة السليمانية، لم تطلب من رعاياها آنذاك توحيد اللغات واللهجات من الإنس والجن والطير والنمل ـ كما تفعل العولمة الآن ـ لأن هذا الطلب غير مجاب عليه، لأن فيه تعطيلاً لسنة من سنن الله، التي لا تبديل لها ولا تحويل قال تعالى (ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم)[19] .

تعدد الألسن والألوان من السنن الربانية المحروسة :

من أين تولدت كل هذه الألسن والألوان، والأصل واحد ؟

أنا تعلمت اللغة العربية من أبي[20] ، وهو تعلمها من أبيه وهكذا ترتقي حتى تصل إلى أول من تكلم اللغة العربية، من الذي عمله ؟ ومثله الصيني والإنكليزي فهذا يعطينا بأنه لا خوف من العولمة. لأن الذي أوجد السنن الكونية يحرسها من العبث، كما يحرس حركة الشمس، ودرجة الغليان، ونظام الحياة والموت الذي لم يستثن منه أحداً.

وهذا ذو القرنين الذي عولم الكرة الأرضية فلما وصل إلى مشرق الأرض وجد عندها قوماً بدائيين (لا يكادون يفقهون قولاً)[21] ومع ذلك لم يفرض عليهم لغته بل أعانهم ورفع مستواهم المعيشي والدفاعي.

لأن تعدد اللغات سنة من سنن الكون فالسنة الكونية ثابتة لا تخيفها عسكرة الأرض، فالليل والنهار، والموت والحياة، والحر والبرد، تتداول أدوارها بشكل ثابت ولكن العسكرة تنتصر حيناً وتنكسر حيناً آخر، والشعوب تقوم وتقعد، ومن الخطأ ربط السنن الكونية بالعسكرة القوية أو الضعيفة، ويبقى السؤال لماذا لم تخلد لغة سيدنا نوح، أو لغة سيدنا إبراهيم، أو لغة سيدنا سليمان عليهم الصلاة والسلام لأن لغاتهم تبعاً لرسالاتهم ورسالاتهم مؤقتة ومرحلية فكلما كان يأتي نبي ينظر الناس إلى السماء، وينتظرون نبياً آخر من بعده، له رسالة أخرى، ولغة أخرى.

---

[18] سورة النمل الآية ٤٠

[19] سورة الروم الآية ٢٢

[20] هذا المعنى مقتبس من الشيخ محمد متولي الشعراوي. الشاشة الفضية

[21] سورة الكهف الآية ٩٣

لغتنا لغة الخلود والاستمرارية والتجدد :

فلما جاءت الرسالة الخاتمة، والنبي الخاتم، واللغة الخاتم، قال الملأ الأعلى لأهل الملئ الأسفل لا تنظروا إلى الأعلى، ولا تنتظروا أحداً بعد اليوم، ولكن انظروا في هذا الكتاب، وهذا الرسول ، وهذه اللغة، لقد جعل الله في الثلاثة: الخلود، والاستمرارية ، والتجدد.

وتعهد الله بحفظ هذا الكتاب، ولو حفظه منفرداً وبدون أن يحفظ لغته، وهي الأوعية التي أفرغ فيها كلامه، وجاءت المعاني على حجم الحروف والكلمات، كالألبسة المفصلة تفصيلاً دقيقاً، وعندما تحول هذه المعاني إلى حروف غير عربية يظهر الخلل كالترجمة، حالها حال اللباس الجاهز، قد يتطابق من حيث الطول ، ويضيق أو يتسع من حيث العرض، ومثله الكم، والرقبة.

ولقد تعهد الله بحفظ المنظومة كاملة: المعنى، والحرف، واللسان.

ولو حفظ الله القرآن واللغة، ولم يحفظ الناطقين بها، من الذي سينطق حرف الضاد (ض) إنسان غير العربي، فكأن الله ما حفظ شيئاً ، والله لم يقل في تعهده بالحفظ لمفردة القرآن ، أو مفردة الكتاب، بل جاء بمفردة الذكر، وعند الراغب بالمفردات (قيل الذكر ذكران : ذكر بالقلب وذكر باللسان) إذاً مفردة الذكر تستبطن معنيين: هما : المادة العلمية، والجارحة البشرية (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)[٢٢] والحفظ يشمل اللافظ و الملفوظ.

وهذه من أعظم المبشرات لخلودية القرآن العربي، واللسان العربي، والإنسان العربي.

إعادة تخصيب وتنمية اللغة العربية مرة أخرى وبنجاح مؤكد :

هذه اللغة قد سبق لها العولمة ودامت سبعة قرون فكانت لغة المعبد والمعهد والسياسة والتجارة، وهي أممية شمولية لم تنشغل بأوجه الخلاف، مع الأمم الأخرى بل انشغلت بالبحث عن القواسم المشتركة والاستثمار المفيد، عندها تحول الناس عن لغاتهم القديمة العتيدة زهداً، وعن ثقافاتهم وحضاراتهم المديدة طوعاً، لأن الحضارة الإسلامية أقرت الوطنيات واللغات والقوميات ولم تتدخل بخصوصيات الناس وإنما أرادتهم أن يعبدوا إلهاً واحداً وقدمت لهم البدائل المفقودة عندهم من تكريم الإنسان وإقرار مبدأ الشورى وإقرار السواسية بين الناس وقول كلمة الحق، قال تعالى في تكريم كل الناس : (يا أيها الناس إن خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا

---

[22] سورة الحجر الآية ٩

إن أكرمكم عند الله أتقاكم)[٢٣] وقال صلى الله عليه وسلم : (لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى) وحول إقرار مبدأ الشورى قال تعالى (وشاورهم بالأمر) مادام أكمل وأعظم وأعلم البشرية مأموراً بأن يشاور من هو أدنى منه فأين المغرورون - الذين لا عقل ولا رأي ولا شورى - من هذا المبدأ ؟ وقوله تعالى يمدح المؤمنين الذين انتفعوا، وارتفعوا بالإسلام وبدأوا يتبادلون الرأي (وأمرهم شورى فيما بينهم)[٢٤] .

وأقر مبدأ العدل والإحسان وصلة الرحم ونهى عن الفحشاء والمنكر والظلم، أمر بثلاث، ونهى عن ثلاث، قال تعالى : (إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون)[٢٥] .

- وكذلك أقر مبدأ كلمة الحق سواء من كانت له أو عليه قوياً أو ضعيفاً يجب أن تقال كلمة الحق لقوله تعالى:(وأقيموا الشهادة لله).

وتعهد الله بحفظ هذا الكتاب، وهذا الرسول ، وهذه اللغة، قال تعالى : (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) فغياب أي واحد من هذه الثلاثة تتعطل المنظومة.

- والذي جعل اللغة العربية معشوقة عند سيبويه والبخاري والترمذي، لأنه لهم فيها مصلحة لأنها لغة الدين والدنيا، ولما فصلت اللغة العربية عن الدين وأصبحت العربية من أجل العربية، بدأت تضمر عند أبناء العربية قبل غيرهم من الأعاجم وبدأ أبناء العربية والأعاجم يتحولون إلى اللغات التي لهم فيها مصلحة معيشية ولكن لا يعني أن اللغة العربية رحلت من تحت قرص الشمس ولكن تستخدم حسب حاجة الناس وظروفهم الخاصة وما من مسلم إلا ويرددها في اليوم خمس مرات في صلاته.

<u>العربية دين ، ولغة ، وحياة :</u>

- فمن يتعلم القرآن الكريم يتعلم العربية ومن يتعلم السنة يتعلم العربية لأن عدد آيات القرآن الكريم (٦٢١٠) عشر آيات، ومئتان وست آلاف آية، هذا العدد المكي وهو أقل رقم وأعلى الأرقام (٦٢٣٦) ست

---

[23] سورة الحجرات الآية ١٣

[24] سورة الشورى الآية ٣٨

[25] سورة النحل الآية ٩٠

وثلاثون آية، ومئتان وست آلاف آية، وهو العدد الكوفي[٢٦] وعدد الكلمات والحروف ، كما جاء في كتاب " فنون الأفنان " لابن الجوزي ، فالمتفق عليه : سبع وسبعون ألف كلمة، واختلفوا بالكسور، ويأتي صوت المؤذن بالعربية للمسلم ولغيره، وكذلك بالإقامة ، ودور السنة الشريفة في تعليم العربية من خلال الأدعية والأوراد النهارية والليلية وآيات الشفاء التي تقرأ لإبطال السحر والعين والأدعية المخصصة، لأوقات مخصصة ، وكذلك عبارات للأعياد والزواج والتبريكات والتعازي، وللأحزان والأفراح والخوف والفرج والولادة والوفاة ودفن الموتى وبعد الدفن، وعند النوم والاستيقاظ وعند الوضوء والغسل وعند الجماع ودخول الخلاء و ... و ... و ... و...

- ويخيل إلي ما من مسلم إلا ويحفظ ألف مفردة عربية وما فوق، وهذه ثروة لغوية، من خلال العبادات والأذكار المفروضة عليه ، لكنه لا يعرف استثمارها خارج حدودها التي تعلمها بها ، إذاً مشكلته مسألة تنشيط وتخصيب !!
- ومن البشائر أن الصحوة الإسلامية هي صحوة للغة العربية، والتي بدأت تمشي أفقياً وشاقولياً كما وكيفاً وتتجذر يوماً بعد يوم من مسلمين جدد، ومسلمين يتجددون ، ومسؤلين من النخب انتبهوا بعد أن انخدعوا ، وخدعوا، وفي درجات مختلفة من أبناء هذه الأمة انخدعوا بين هذا وذاك، وفي النهاية ظهر كل شيء ، وتبدد كل شيء عندما بدأت الأحداث تسوق العالم الإسلامي بالعصا لتجديد إسلامهم مما ظهر لهم من مكر العدو وظلمه وبطشه وكذلك خبث الذي يشي بأهله وديارة وتراثه.
- وعودة تخصيب اللغة العربية في أماكن وجودها أسهل ألف ألف مرة من بداية زراعتها فما كان يومها المسجد ، وما كان المدرس ، فالآن المساجد منتشرة وقد تزيد على / ٢٠٠ / ألف مسجد تقريباً معناها / ٢٠٠ / ألف إمام، ومؤذن، وخطيب، وقارئ، إذن اللغة موجودة والوسائل موجودة، ولكن علينا حمايتهم.

---

[26] كتاب مرشد الخلان إلى معرفة عد أي القرآن الكريم لـ د / عبد الرزاق موسى جامعة المدينة المنورة ط : ٢ (١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م)

- وتحصينهم من التهم الجاهزة والمصدقة، وعلينا إحياء مبدأ (الحسبة والاحتساب) في نفوسهم، لأن العلم أصابته لوثة المادية لذلك انتشرت الدروس الخصوصية.

والظروف المساعدة كثيرة ووسائل التعليم الحديثة انتشرت عبر الأقراص المسموعة والمرئية والإنترنيت إذا لا مجال للقنوط واليأس. وقرأت جملة من الأبحاث للأخوة الغيارى على اللغة العربية وقد أصابهم إحباط من شدة الحصار والضغط والتشظية على مستقبل اللغة العربية.

ورأيت كثيراً من الآراء تربط تحصين اللغة وقيامها بقرار سياسي، وهذا غير متاح بشكل جيد في هذه الظروف ، ولكن العمل الفردي والجماعي والخيري متاح أكثر خارج السياسيين.

- فانتشار العربية الأول لم يقم بقرار سياسي وميزانيات تدعمه، بل قام على الميسور المتاح ثم تطور الأمر تبعاً لسنة الحياة و(سلطان العلماء) في الأمة أوسع من سلطان الساسة ، لأن الساسة ينتهي سلطانهم حيث تنتهي حدودهم، بينما العلماء يمتد سلطانهم حيث يوجد المسلمون ولو أفتى عالم فتوى أخذ بها المسلمون خارج الحدود وداخل الحدود، في الحاضر والمستقبل.
- فعلى العلماء تكريس هذه الرؤية وهي إعادة تخصيب اللغة العربية من خلال الأيدي البيضاء المحلية بالمساعدة والدعم، ومن خلال روح الاحتساب، لأن المحتسب هو الذي ينتج بلا حدود، وأما صاحب الأجر إذا أخلص أنتج بقدر أجره، وهذا يحتاج إلى ميزانيات لا حدود لها.

<u>ما مصلحة الإنسانية في اللغة العربية ؟ :</u>

القرآن مليء بالنبوءات التي تخترق الحجب، حجاب الماضي والحاضر والمستقبل، من خلال مسألة واحدة، هي مسألة الغيب ويجيب على أسئلة مهمة نحو:

هذه الكتلة البشرية من أين جاءت ؟ وإلى أين تمضي؟

وهذا الذي شغل الإنسان كل الإنسان قديماً وحديثاً لذلك اهتم الإنسان بالآثار ، وزرع المتاحف في الأرض، لأنها نافذة غيبية على الماضي، وكذلك يسعى الإنسان إلى المنجمين الذين يزعمون قراءة المستقبل الفردي والأممي. ولو اجتمعت المتاحف كلها لا تغطي إلا جزئية من الماضي، وتبقى افتراضية ، ومثل ذلك المنجمون !!

وهذه النوافذ على الغيب من الآثار و المنجمين لم تجب على أسئلة العلم وصرامتها، فبدأ الإنسان يبحث عن ضالته، وقد لا يجدها إلا بعد قرون،

ولكنه يجدها في القرآن الكريم، وفي القرآن نافذة غيبية على نشوء الكون، وحركة الأمم من خير وشر وفي قصصهم عبرة، وإلى أين يمضي هذا الكون وهذا الإنسان، ويتجاوز المنظور إلى غير المنظور، وغير المتصور !! إلى الدار الآخرة !!.

(١٥٤) ((١)) آية تحققت وتتحقق وستحقق في ظل اللغة العربية :

دار في القرآن الكريم حرفا الاستقبال (س ، سوف) كثيراً، لقد دار (السين) في القرآن الكريم / ١٢٢ / مرة و (سوف) في القرآن الكريم / ٤٢ / مرة وهذا العدد جاء ليغطي الحركة الكونية والبشرية من قبل تخلق، وفي الدنيا، والآخرة، مروراً بالأنبياء كلهم، وبخاتم الأنبياء سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وهذه الحروف تمشي مع الانسان حتى الدار الآخرة، ويغطي حركة الإنسان في الجنة والنار.

وتولت عناية الله اللغة العربية قبل البعثة بقرنيين تقريباً، وكان يخصبها الله وينميها، من خلال سوق عكاظ، ومرابد الشعر، والمفاخرات.. حتى تكون أوعية لكلامه، ويتعبد المسلمون ربهم بها، فكيف يتخلى عنها بعد أن عبد بها من ربع البشرية أو من خمسها، وما من مسلم إلا أن يتعبد الله في صلاته وصيامه وأذكاره بالعربية والزيادة مستمرة من المسلمين الجدد، كما مر معنا سابقاً ومن عناية الله لهذه اللغة أن هيأ سوقاً لها يمشي مع سوق البيع والشراء، سوقاً للشعر والبلاغة ، وتعرض البضاعتان في مكان وزمان واحد، فهذا سوق عكاظ يبدأ من (١-٢٠ ذي القعدة) ثم يتحولون إلى سوق مجنة يبدأ من (٢١ - ٣٠ ذي القعدة) ثم يتحولون إلى سوق(ذو المجاز) يبدأ من (١ –١٠) ذي الحجة أي على مدى أربعين يوماً، فيتجاور فيها جرس الدرهم والدينار، بجوار جَرْس البيت الشعري حتى ارتفع المستوى البياني قبل البعثة، ولما جاءت البعثة بمعجزتها البيانية، كان البيان هو الخصم والحكم.

عرب (٢٣)

هم أهل فترة التحدي والتي كانت تخص (عرب ٢٣) الذين كانوا في الذروة مسلمهم ومشركهم، وهم أهل للتحدي والتصدي، هذه الرؤية تشمل العربي المسلم والمشرك ممن عاصر التنزيل، وكانت جاهزيتهم البلاغية في ذروة تحديها، وإلا من غير المعقول أن ينزل رجل أعرج في ملعب وليس أمامه أحد، سيدخل ألف هدف في شوط واحد، إذاً قيمة التحدي تظهر من خلال شهادة الخصم القوي المتربع في الساحة، وليس أي خصم بل الخصم

القوي، مثلما استسلم أعظم السحرة لموسى وهارون عليهما السلام حيث قالوا (آمنا برب العالمين . رب موسى وهارون) وكان المجلس الأعلى الفرعوني طلب البحث عن أفضل الموجودين من أجل التحدي (وابعث في المدائن حاشرين، يأتوك بكل سحار عليم) الشعراء : ٣٧ (سحّار) اسم فاعل للمبالغة، أي دائم الترقي و (عليم) اسم فاعل، أي متمكن واستقر علمه، وهذا دليل النضوج، ويجمع بين قوتين (السحر و العلم) في هذه المهنة.

إذاً هذه الوعود كلما تحقق وعد منها في زمن معين في جيل معين جدد الناس إيمانهم وأدخل الآخرين إلى الإسلام وبشارة في خلودية هذه اللغة.

وهذه بعض النماذج لحرفي الاستقبال (السين) و (سوف).

١ـ الوعود التي تحققت للأمم السابقة:

كما تحققت الوعود الإلهية لهم ستتحقق لنا، نحو وعد الله لمن عبدوا العجل سيصيّرهم الله أذلاء، وقد كان هذا منذ زمن سيدنا موسى عليه السلام إلى هذا اليوم، وهم مشردون ، مطرودون، منبوذون، وقد تحقق في الماضي، ويتحقق الآن ،وسيتحقق في المستقبل قوله تعالى: (إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا) الأعراف / ١٥٢ ، وهذا مثال آخر فيه وعدان قد تحققا، وعد الله بنصر الروم على الفرس، وتحديده في بضع سنين وعدان: النصر والزمن، رآهما الناس جميعاً ليعلمهم أن كل الوعود ستتحقق، ولكن في مواعيدها، قوله تعالى : (ألم.. غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين ..)[٢٧] .

وهناك نماذج كثيرة منها : أبناء يعقوب عندما طلبوا الاستغفار من أبيهم والمسامحة فوعدهم سوف يكون ذلك. قوله تعالى : (سوف استغفر لكم ربي إنه الغفور الرحيم)[٢٨] وقد تحقق ذلك، واستغفر لهم، لأنهم اجتمعوا جميعاً وسجدوا ليوسف عليه السلام تحقيقاً للرؤيا، ولو كان الخلاف قائماً ما كان هذا الاجتماع والتسليم.

وهذا سيدنا موسى عليه السلام يقول للعبد الصالح : (ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمراً)[٢٩] لقد تحقق صبر سيدنا موسى عليه السلام على قدر احتمال الطاقة المعطاة له حتى نفدت، وإلا كان بإمكانه أن يتدخل بيده يدفع أو يحجز ،ومرة أخرى عندما طلب من ربه أن ينظر إليه، بالبصر

---

[27] سورة الروم الآية ١ - ٢

[28] سورة يوسف الآية ٩٨

[29] سورة الكهف الآية ٦٩

البشري، وبالحياة الدنيا، وهذا البصر وهذا الجسم غير مهيأين في الحياة الدنيا لمثل هذه الرؤية ، قال له ربه : انظر إلى ا لجبل المعد للأشجار والبناء وغير معد للتجلي الأعظم، سيتصدع الجبل، فالجسم من باب أولى أن يتصدع قال تعالى : (ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني)[٣٠] فلم يستقر، ولم يره.
وأما في الجنة الأجسام غير الأجسام والعيون غير العيون، وعندما يتجلى الله على أهلها يزدادون نوراً وسروراً ولا يتصدع شيء ولا يزول عن مكانه لأن الكل مهيأ كما في قوله تعالى (ووجوه يومئذ ناضرة. إلى ربها ناظرة)[٣١] .
وخلاصة القول : وعود الله تتحقق في الدنيا والآخرة.

وعود تحققت أثناء التنزيل:
وهذه أمثلة على ذلك ، كقوله تعالى :(إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً)[٣٢] ولقد دام هذا الثقل على عاتق النبي وحده ثلاثاً وعشرين سنة، وهو يتحقق يومياً، وفي كل يوم تكبر فيه الدعوة ، ويكبر فيه الحمل، ويزداد الثقل ثقلاً، ويحتاج النبي إلى أكثر من صبر، كالصبر على العبادات، والغزوات،ومشاكل الدعوة، والأمم المجاورة، ورسول الله وحده، يمثل السلطات الثلاثة، التنفيذية والتشريعية والقضائية، وكلها تتطلب إبداعات جديدة، غير مسبوقة في الأمم المجاورة أو المعاصرة.
وفي عصرنا يحتاج عُشرُ هذا الأمر إلى وزراء لا يعلم عددهم إلا الله، وقد لا ينفذون إلا القليل منه، هذا حمل لا يحمله ويتحمله إلا من أعده الله للنبوة ، ومن أعداده له ، شق صدره أكثر من مرة، ومع كل هذا الأعداد كان يهيئه مسبقاً للصبر والمصابرة.
وفي بعض الأحيان يثقل الحمل عليه فيبشره بالمستقبل بقوله :(ولسوف يعطيك ربك فترضى)[٣٣] فأعطاه في حياته، وبعد مماته، ومازال يعطيه، فأعطاه المهاجرين والأنصار، والتابعين، وجيوش الفتح، وجمهرة العلماء والمخلصين واستمرارية العطاء في قوافل الخلص من هذه الأمة التي تزيد ولا تنقص ، وقد تحقق وعد ربنا له.

---

[30] سورة الأعراف الآية ١٤٣
[31] سورة القيامة الآية ٢٢ - ٢٣
[32] سورة المزمل الآية ٥
[33] سورة الضحى الآية ٥

وهذا نمط تحقق:
لقد رأى العدو والصديق تحقيق هذا الوعد، وكان بإمكان العدو أن يمسك نفسه عن القول، وعندها يجعل اليهود القرآن الكريم في حرج، كقوله تعالى : (سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم)[٣٤] فبعد أن حول الله قبلة نبيه اتجاه الكعبة قال الله للناس جميعاً : يقول اليهود السفهاء كذا..، وكذا.. وهنا ذكر الصفة وهي السفاهة ، وطوى الموصوف أي اليهود، لأنهم لا يستحقون الذكر، وقد قالوا: .. ولو أنهم سكتوا، وما قالوا:... لأحرجوا أهل القرآن ولكن سيتحقق وعد الله.

<u>الإعجاز في الرعب قد تحقق، ويتحقق:</u>

- لماذا هذا الرعب من الإسلام والصحوة الإسلامية في الغرب؟؟ علماً بأنهم يقولون عن الإسلام دعوة كاذبة، ويعلمون أجيالهم هذا الإدعاء ، والسؤال:
- الأرض مليئة بالدعوات الكاذبة، ولا يخافون منها، إذاً لماذا يخافون من الإسلام ؟ إنه الكيد والمكر والتزوير والحسد، لأن الله أذن للرعب أن يتسلل إلى قلوبهم ، ويتمكن منها، وأصبحت أي ريح إيمانية تهز قلوبهم !!.

ووعد الله المسلمين في غزوة بدر (سألقي..) وفي غيرها (سنلقي) ففي الأولى: أسند الإلقاء لنفسه، وفي الثانية " سنلقي " أسنده لضمير الجماعة المتكلمين، وبعد أن وضح صورة الإلقاء والكيفية في الأولى، أسند الثانية للملائكة، كمثل آدم عليه السلام كونه الطبعة الأولى خلقه بيده، وبرزت الصورة الأولى، والأنموذج الأمثل للآدمي ، ثم أوحى للملائكة أن يتولوها كما يشاء الله ! والله أعلم

<u>القوي المرعوب يخاف الضعيف المسلوب:</u>

وهذا إعجاز يتحقق يومياً بأن القوي يخاف الضعيف، فبالله كيف يخاف من ملأ الجو بالأقمار الصناعية، والرصدية، والتجسسية، والصاروخية، وملأ البحر سفناً تدميرية، وزرع في الأرض صواريخ طويلة المدى، وقصيرة المدى، وبإمكان ضباطه يقاتلون وهم بألبسة النوم ؟؟ ومع كل هذا يخافون من الإسلام والمسلمين علماً بأن معظم المسلمين حفاة، عراة، أميين.
ويبقى السؤال ما هو سبب الخوف ؟

---

[34] سورة البقرة الآية ١٤٢

قلوبهم مرعوبة والرعب يدمر ما هو أهم من المقاتلات والمطارات والدشم العسكرية والبواخر التدميرية، وهي القلوب فإذا تزلزلت القلوب، تصبح أجساد المحاربين مقابر متحركة، ولا قيمة للجيوش وضخامة الأعداد وكثرة العتاد لقوله تعالى:(سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله)[٣٥] وقوله تعالى (سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب)[٣٦] .

إعجاز يتحقق يومياً:

الإعجاز إعجاز، واستمراريته إعجاز آخر، وخلودية التجديد التي تتحقق لكل جيل إعجاز أيضاً، وهذه المخبآت كلها إعجازات متغلغلة في العربية ، والتنقيب مستمر ولكن ليس في الأوابد والمدن البائدة هذه المرة، ولكنه في أدق الحروف ، من جهة، وفي القرآن العظيم والسنة الشريفة من جهة أخرى، يريد الله أن يحقق قوله تعالى : (سنريهم آيتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق)[٣٧] وبدأ العالم كله مشدوداً حول ما يكتشف اليوم، والمفاجأة عند غير المسلمين أن القرآن العظيم قد سبقهم في بعض المكتشفات وتحدث عنها منذ أربعة عشر قرناً، وكأنهم لم يأتوا بجديد، وسأكتفي بشاهد من شواهد كثيرة تملأ مجلات الإعجاز العلمي للقرآن والسنة ، والتي تصدر من عدة مراكز للأبحاث أعدت لهذا الغرض، ماعدا الأبحاث والكتب الفردية التي تملأ الأسواق يومياً، جاء في مجلة الإعجاز (العدد الثاني جمادى الأولى ١٤١٧ هـ) ما يلي:

(جملتان بينهما عامان من الحوار

الأولى : من هو الله ؟

والأخرى : لا إله إلا الله.

هذه خلاصة حوار مع البروفسور / تاجاتان تاجاسون، عميد كلية الطب / جامعة شاينج ماي / تايلاند، وكان هناك حوار بينه وبين المختصين بالإعجاز، وعندما سئل هل هناك مرحلة ينعدم فيها الإحساس بألم الحروق؟ نعم، إذا كان الحرق عميقاً ودمّر عضو الإحساس بالألم.

ذكر القرآن تلك الحقيقة العلمية بتغيير الجلود، وتجديدها من أجل استمرارية العذاب، بقوله تعالى (إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم ناراً ، كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب)[٣٨] .

---

[35] سورة آل عمران الآية ١٥١

[36] سورة الأنفال الآية ١٢

[37] سورة فصلت الآية ٥٣

[38] سورة النساء الآية ٥٦

تلك معرفة مبكرة، من أين مصدرها ؟
من عند الله..
الله.. ؟؟ ومن هو الله ؟؟
وبعد سنة عاد، وعاد الحوار، ومن خلال بحثه في الإعجاز القرآني، وقناعاته نضجت الفكرة عنده، قال: حان الوقت لأن أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله[39] والمعطيات اللغوية للآية تقول ستظهر آيات بالجمع، ويراها العدو والصديق في الآفاق ، وفي داخل النفس الإنسانية، ومما ظهر للجميع حتى الآن، مسألة تطور الجنين، من نطفة إلى علقة، إلى مضغة،... لم تعد سراً على أحد في أي حقل من حقول المعرفة.
ومنها كذلك، منطقة المصب والحاجز بين البحرين اكتشف أخيراً وقد أشار القرآن إلى ذلك في قوله تعالى:(وجعل بين البحرين حاجزاً)[40] وقوله تعالى : (مرج البحرين يلتقيان . بينهما برزخ لا يبغيان)[41].
ولقد وزع الله هذه الإعجازات على الزمان والمكان من أجل أن تغطي وجه المعمورة مكاناً وزماناً قال تعالى : (لكل نبأ مستقر)[42] أي يظهر ويستقر للعيان والله هو الذي يحدد متى ؟ وأين ؟
وتوحي الآية (لكل نبأ مستقر، وسوف تعلمون) توحي بأنها قد تقع الآية وتظهر خارج بلاد المسلمين ويصل خبرها للمؤمنين فيما بعد، حتى تكون حجة وشهادة غير مجروحة ، أو مشكوك بها.
وكل واحد من حرفي الاستقبال (س وسوف) بمثابة مفتاح لمعجزة مخبأة وراءه، كأنها من معجزات الأنبياء، لذلك سيحرص أهل العلم من كل الجنسيات على دقائق التفسير وفهم العربية ليستخرجوا مثل هذه الكنوز قبل غيرهم.
فاللغة العربية ستكون وسيلة من وسائل تحقيق أماني فردية، وجماعية، وأممية.

<u>وعود في الدار الآخرة ستتحقق :</u>

هناك آيات تشير إلى وقوع حوادث على الإنسان في الدار الآخرة وهي أمر غيبي ولكن ما دامت تحققت أمور كانت غيبية على أهلها في الحياة الدنيا،

---

[39] من كتاب إنه الحق منشورات الرابطة ط: ٣ (١٤٢٠)
[40] سورة النمل الآية ٦١
[41] سورة الرحمن الآية ١٩ - ٢٠
[42] سورة الأنعام الآية ٦٧

هذا يعطينا قناعة إيمانية بأن القرآن يمشي معنا إلى الدار الآخرة ويصور لنا مصير المفسدين والمصلحين.
ومن هذه المشاهد الغيبية طيران الصحف باتجاه أهدافها، والبحث عن الأيدي البيضاء من قبل الصحف البيضاء، والصحف السوداء تبحث عن الأيدي السوداء وهذا مشهد فيه انقلاب في الحركة لأن اليد في الحياة الدنيا هي التي تبحث عن الأشياء ولكن في الآخرة، تتغير الأمور، لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، كل ما فيها مفاجأة ، يصف الله الصحف كيف تدفع إلى أصحابها؟ قال تعالى :
(فمن أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيرا.. وأما من أوتي كتابه بشماله فسوف يدعو ثبوراً. ويصلى سعيراً) الإنشقاق / . لقد كررت (سوف) مرتين لماذا ؟ ولكل قوم (سوف) خاصة بهم، لأن الزمان والمكان والتنزيل مختلف عن الآخر.

ما مصلحة الإنسانية من غير العرب والمسلمين في اللغة العربية ؟ :

لا شيء يشغل الإنسان قديماً ، والآن، ومستقبلاً ، مثل تحديد البدايات، والنهيات ، لموجودات هذا الكون، كالسماء، والأرض، والعلم، والإنسان، و.. متى وجدت ؟ ولماذا ؟ ومتى تنتهي ؟ وكيف ؟
وكم هي النظريات التي تحدثت عن نشأة الكون، وأصدمت بعض الأبحاث ببعض ؟ وكم هي مراكز البحوث الموزعة على وجه الأرض وهي تبحث عن بدايات هذا الكون ؟ وإلى أين يتجه هذا الكون ؟ وفي النهاية إذا اهتدوا إلى العلم الصحيح الذي هو قطعي الثبوت والدلالة سيهتدون إلى ما قاله القرآن ؟ هذا إذا تحدث عنه القرآن، وسنذكر واحدة للاستشهاد وليس للحصر، بداية الكون ونهايته من الأمور التي شغلت العلماء قديماً وحديثاً ، وبدأت تتضح معالم الصورة حول ما قاله القرآن الكريم منذ نزوله : قوله تعالى : (أولم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي) الأنبياء / ٣٠ وبعد تحديد بداية الحياة على الأرض، جاءت الخطوة التالية: قوله تعالى : (والأرض بعد ذلك دحها. أخرج منها ماءها ومرعاها)[٤٣] ويتابع القرآن الكريم كما حدد النشأة الأولى للسماء يحدد الخاتمة لها، قوله تعالى (يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إن كنا فاعلين)[٤٤] ويقول علماء الفضاء

---

[43] سورة النازعات الآيتين : ٣٠ - ٣١
[44] إعجاز القرآن في آفاق الزمان لـ د / منصور حسب النبي دار الفكر العربي مصر ط : ١٤١٧ هـ ص ١٣٦

: (ويومئذ سوف تتقارب المجرات بعضها من بعض وتنطوي السماء ليحدث الرتق بعد الفتق أي ليعود الكون كله بالجاذبية إلى نقطة البداية في انسحاق عظيم يسحق الكون سحقاً ويدكه دكاً في انطواء مذهل للسماء).
وكون القرآن كتاب هداية، وليس كتاب علوم..، لا يتعارض البحث الجاد مع القرآن، إذا تضمن بعض الحقائق العلمية التي هي إحدى وسائل الهداية ويستفاد من كل ما ذكرناه:
الإشارات القرآنية العلمية ستكون هي المعيارية التي يحتكم إليها العلم، ولقد (أثبتت الدراسات العلمية المعاصرة، سبق القرآن في تحديد بعض المصطلحات العلمية ودقتها : كالتعريف بمراحل الجنين، ويمكن أن تصبح تلك المصطلحات المستعملة حالياً لقوة الدلالة والبعد عن الغموض والالتباس) ومثال على ذلك في كلمة (نطفة) مصطلح قرآني، بينما تقابلها لفظة (توته)[45] كمصطلح عالمي، فجاءت الأولى أوضح وأدق بشهادة الآخرين، وبإمكان المسلمين أن يتقدموا لتصحيح مسيرة العلم التجريبي وهم أهله، وأحق به (لقد جعل الله النظر في المخلوقات التي تقوم عليها العلوم التجريبية طريقاً للإيمان به، وطريقاً إلى الإيمان برسوله ولكن أهل الأديان المنحرفة، كذبوا العلم وحقائقه، وسفهوا طرقه، واضهدوا دعاته، وأحرقوهم أحياء، فواجههم أهل هذه العلوم التجريبية، بإعلان الحرب على تلك الأديان المزورة التي هي من صناعة الكهنة، فكشفوا ما فيها من أباطيل، وأصبحت البشرية في متاهة، تبحث عن الدين الحق الذي يدعوا إلى العلم، وهذه فرصة المسلمين.
وبإمكان المسلمين اليوم أن يتقدموا لتصحيح مسار العلم في العالم ووضعه في مكانه الصحيح، حتى يكون طريقاً إلى الإيمان بالله ورسوله ومصدقاً بما في القرآن ودليلاً على الإسلام). عندها ستبدأ الترجمة من العربية إلى اللغات الأخرى كما كانت من سبعة قرون

أهم التوصيات والمبشرات

١ـ الكشوفات العلمية في القرآن والسنة هي امتداد للرسالة الإسلامية وضمان لبقاء اللغة العربية (إن كان المعاصرون لرسول الله محمد صلى الله عليه وسلم ـ لهم أساليب بالدعوة ـ تتناسب وعصرهم ، كذلك الكشوف العلمية بدأت ترينا كشوفات تناسب عصرنا، وأهل عصرنا لا يذعنون لشيء إذعانهم للعلم على اختلاف أجناسهم وأديانهم دائماً يطلبون البينة، وهم الذين

---

[45] مجلة الإعجاز العلمي للقرآن الكريم والسنة النبوية، الرابطة، العدد الثالث ربيع الثاني ١٤١٨ هـ

يكتشفونها بعد ذلك، نحن ـ المسلمين ـ نقول : قال القرآن كذا.. وكذا، وهذه علامة العجز فينا، إذاً نحن في عصر البينة ، وبشر القرآن بمعجزة البينة بأنها قادمة بقوله : (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة).

٢ـ أهل العلم من أي جنسية كانت، هم شهود للقرآن بأنه الحق ويبشر القرآن بقدوم جيل يبحث عن الحقيقة وهم من أهل العلم كما وصفهم الله بقوله : (ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق) والتقصير ظاهر من جهة الأمة لغياب القيادة الأممية، ومن جهة أخرى من قبل الأفراد الذين لم يحملوا هذا القرآن للآخرين، أو يحملوا الآخرين للقرآن فمن أين تريد البشرية أن تعرف هذه الكنوز المخفية ؟

٣ـ مهمة المسرح الكوني يدعو الناس إلى الخالق :

البشرية تمشي نحو الوعي وكلما ازداد الوعي ، قرب الإنسان من خالقه ، لأنه سيبدأ يتأمل، لذلك دعا القرآن الكريم كل الناس للنظر في خلق السموات والأرض، حتى تقع عيونهم على الجماليات، وما فائدة هذه الجماليات المودعة في الكون لو كان كل الناس أعمياء ، ما فائدة السمع و البصر والفؤاد، إذا لم يكن هناك مادة تعمل وتفكر فيها هذه الأعضاء (فالكون يصبح مسرحاً عديم الفائدة إذا خلت قاعته من جمهور الآيات في القرآن الكريم التي أنزلها الله سبحانه ليصل الإنسان من خلالها إلى الإيمان بوجود الله وقدرته ووحدانيته).

(وهذه الآيات أيضاً تحتوي على إشارة علمية عميقة تتضح لنا كلما تقدم العلم وكشف شيئاً من الأسرار الكونية التي تحتاج للراسخين في العلم لإدراكها وتفسيرها وتوضحيها علمياً وقرآنياً وهذا يبشر بأن أهل العلم وهم قادة الناس عاجلاً أو آجلاً سيكونون المعبر بين شعوبهم واللغة العربية.

والعلاقة بين القرآن واللغة العربية، كالعلاقة بين الجسد والروح والنفس لا يغني أحدهما عن الآخر.

٤ـ عودة الموازين إلى أنصبتها، والحقوق إلى أصحابها ، يعطي الصديق ثقة بالنفس، ويعطي الآخر المزور الذي زور الحقائق، أن يعود لنفسه ويقيمها ويحجمها.

وأهل الحضارة الغربية بقوتهم المفروضة نسبوا معظم العلوم والمعارف لعلماء منهم، وفرضوها في منهاج التربية من طنجة إلى جاكرتا، نتيجة ضعفنا أو جهلنا أو الاثنين معاً ومثال واحد فقط، في كتب التربية مسطور

بأن مكتشف الجاذبية: اسحاق نيوتن الذي عاش بين عام (١٦٤٢–١٧٢٧م)

ولكن الأنابيش التراثية تشهد بما لا يدع مجالاً للشك أن كتب التراث مليئة بهذا العلم ولكن بغير هذا المصطلح ، وتسمى عندهم (القوة الطبيعية) و (الميل الطبيعي) وأقدم من وجد عنده هذا العلم : ثابت بن قرة بن عرفان الحراني (٢٢١ – ٢٨٨ هـ) و (٨٢٦ – ٩٠١ م) وهناك أسماء كثيرة، ذكرت هذا التعريف : الميل الطبيعي، ومنهم (إخوان الصفا ، والبيروني، وابن سينا، وأبو البركات وفخر الدين الرازي، ونصير الدين الطوسي - بتصرف - مجلة القافلة ، محرم ١٤١٠ هـ . ص / ٢٤ . م / محمد عبد القادر الفقي.

والخلاصة:

من المحال دوام الحال ، وقد يستطيع العدو أن يحافظ على قوته، ولكنه يستحيل أن يحافظ على ضعفنا عندها سيعاد تأصيل جميع العلوم والمعارف باللغة العربية، وعودة أهل العلم إلى المصادر الأصلية لهذه العلوم، وهذا لا يأتي بمعجزة لأن زمن المعجزات ولى، ولكن بالعمل ..

المستقبل للغة العربية بين اللغات ، وللسان العربي بين الألسن، وللإنسان العربي بين الأمم.

وتبقى : متى ؟ وكيف ؟ إذا عرف العربي المسلم نفسه، ورسالته !!

عنوان المؤلف

Ibrahem_anzawi@maktoob.com

مركز كمبيولايف للطباعة
حلب- الجميلية
هاتف: ٠٠٩٦٣٢١٢٢٨٩١٥٣
فاكس: ٠٠٩٦٣٢١٢٢٨٩١٥٣٩
e-mail: am1948@scs-net.org